النّفس ، ونفثة الغيظ ، وخور القناة[١] وبثّة الصدر[٢] ، وتقدمة الحجّة ، فدونكموها فاحتقبوها دبرة[٣] الظهر نقبة الخف[٤] باقية العار ، موسومة بغضب الجبّار ، وشنار الأبد ، موصولة بنار الله الموقدة ، الّتي تطّلع على الأفئدة ، فبعين الله ما تفعلون ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[٥] ، وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فاعملوا إنّا عاملون ، وانتظروا إنّا منتظرون» .

فأجابها أبوبكر عبدالله بن عثمان وقال : يا بنت رسول الله لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً ، رؤوفاً رحيماً ، وعلى الكافرين عذاباً أليماً ، وعقاباً عظيماً ، إن عزوناه وجدناه أباك دون النّساء ، وأخا إلفك[٦] دون الأخلّاء ، آثره على كلّ حميم ، وساعده في كلّ أمر جسيم ، لا يحبّكم إلّا سعيد ، ولا يبغضكم إلّا شقيّ[٧] بعيد ، فأنتم عترة رسول الله الطيّبون ، الخيرة المنتجبون ، على الخير أدلّتنا ، وإلى الجنّة مسالكنا ، وأنتِ يا خيرة النّساء ، وابنة خير الأنبياء ، صادقة في قولك ، سابقة في وفور عقلك ، غير مردودة عن حقّك ، ولا مصدودة عن صدقك ، والله ما عدوت رأي رسول الله ، ولا عملت إلّا بإذنه ، والرائد لا يكذّب أهله ، وإنّي أُشهد الله وكفى به شهيداً ، أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ذهباً ولا فضّة ولا داراً ولا عقاراً وإنّما نورّث الكتاب والحكمة والعلم والنبوّة ، وماكان لنا من طعمة فلوليّ الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه»[٨] وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح يقاتل بها المسلمون ويجاهدون الكفّار ،

---

(١) الخور : الضعف ، والقناة الرمح . والمراد من ضعف القناة هنا ضعف النفس على الصبر على الشدة .

(٢) البث : أشد الحزن الذي لا يصبر عليه صاحبه حتّىٰ يبثه أو يشكوه .

(٣) فاحتقبوها : أي احملوها على ظهوركم ، ودبّر البعيرة أصابته الدبرة ـ بالتحريك ـ وهي جراحة تحدث من الرحل.

(٤) نقب خف البعير : رقّ وتثقّب .

(٥) الشعراء ٢٢٧.

(٦) الإلف : هو الأليف بمعنى المألوف ، والمراد به هنا الزوج لأنّه إلف الزوجة ، وفي بعض النسخ «ابن عمّك» .

(٧) في ذخائر العقبى ـ لمحبّ الدين الطبري ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يحبّنا أهل البيت إلّا مؤمن تقي ، ولا يبغضنا إلّا منافق شقي» أخرجه الملّا .

(٨) نقل المجاهد السيّد عبدالحسين شرف الدين ﷺ في كتابه الجليل «النصّ والإجتهاد» عن الأستاذ المصري المعاصر محمود أبو رية ما يلي :

قال : بقي أمر لابدّ أن نقول فيه كلمة صريحة ، ذلك هو موقف أبي بكر من فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ وما فعل معها في ميراث أبيها ، لأنّا إذا سلّمنا بأنّ خبر الآحاد الظنّي يخصّص الكتاب القطعي ، وإنّه قد

almawaddah.be

ويجالدون المردة الفجّار ، وذلك بإجماع من المسلمين ، لم أنفرد به وحدي ، ولم أستبدّ بما كان الرّأي عندي[١] ، وهذه حالي ومالي ، هي لك وبين يديك ، لا نزوى عنك[٢] ، ولا ندّخر دونك ، وأنتِ سيّدة أُمّةِ أبيكِ ، والشجرة الطيّبة لبنيكِ ، لا ندفع مالكِ من فضلك ، ولا يوضع في فرعك وأصلك ، حكمك نافذ فيما مَلَكَتْ يداي ، فهل ترين أنّي أُخالف في ذلك أباك ؟

فقالت عليها السلام : «سبحان الله ، ما كان أبي رسول الله صلى الله عليه وآله عن كتاب الله صادفاً[٣] ، ولا لأحكامه مخالفاً ! بل كان يتبع إثره ، ويقفو سوره ، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور والبهتان ، وهذا

➲ ثبت أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قد قال : إنّه لا يورّث ، وأنّه لا تخصيص في عموم هذا الخبر ، فإنّ أبابكر كان يسعه أن يعطي فاطمة رضي الله عنها بعض تركة أبيها صلى الله عليه وآله كأن يخصّها بفدك ، وهذا من حقّه الّذي ليس بعارضه فيه أحد ، إذ يجوز للخليفة أن يخصّ من يشاء بما يشاء .

قال : وقد خصّ هو نفسه الزبير بن العوام ومحمّد بن مسلمة وغيرهما ببعض متروكات النّبيّ صلى الله عليه وآله على أنّ فدكاً هذه الّتي منعها أبوبكر لم تلبث أن أقطعها الخليفة عثمان لمروان ، هذا كلامه بنصّه .

ثمّ أعقب السيّد رحمه الله قائلاً :

ونقل ابن أبي الحديد عن بعض السلف كلاماً مضمونه العتب على الخليفتين والعجب منهما في مواقفهما مع الزهراء بعد أبيها صلى الله عليه وآله قالوا في آخره :

«وقد كان الأجل أن يمنعهما التكرّم عمّا ارتكباه من بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، فضلاً عن الدّين» فذيّله ابن أبي الحديد بقوله :

«وهذا الكلام لا جواب عنه» . [النصّ والإجتهاد ١٢٣ ـ ١٢٤]

(١) خطر ببالي وأنا أُفكّر في قول الخليفة «وذلك بإجماع المسلمين لم أنفرد به» وفي قوله في آخر الحديث الّذي تفرّد بنقله عن النّبي صلى الله عليه وآله «وما كان لنا من طعمة فلوليّ الأمر أن يحكم فيه بحكمه» نعم خطر ببالي وأنا أُفكّر في هاتين الفقرتين وما إذا كانت فدك من حقّ المسلمين حتّى يؤخذ رأيهم فيه أم من حقّه الخاصّ حتّى يحكم فيه بحكمه كما جاء في ذيل الحديث الّذي استنكرته الصدّيقة الطاهرة عليها السلام واعتبرته كذباً وزوراً وافتراءً على الرّسول صلى الله عليه وآله اعتلالاً منهم لمّا أجمعوا على الغدر بذرّيته كما اعتبرته طعناً في عصمته صلى الله عليه وآله لو صدر ذلك منه ، واسمع ذلك كلّه في جوابها لأبي بكر : «سبحان الله ، ما كان أبي رسول الله صلى الله عليه وآله عن كتاب الله صادفاً ، ولا لأحكامه مخالفاً ، بل كان يتبع إثره ، ويقفوا سوره ، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزّور ، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل في حياته» ، ثمّ إن كان من حقّة الخاص فلماذا لم يعطها سيّدة النّساء وبنت سيّد الأنبياء إكراماً لمقام أبيها صلى الله عليه وآله ، وإذا كان من حقّ المسلمين لماذا لم يؤخذ رأيهم أوّلاً في إعطائه إيّاها ؟

نعم خطر ببالي وأنا أجيل الفكر في هذا وشبهه قول الشريف قتادة بن إدريس من قصيدته العصماء في رثاء سيّدة النّساء عليها السلام والّتي يقول في أوّلها :

(٢) لا نزوى : لا نقبض .

(٣) صادفاً : معرضاً .

almawaddah.be

بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل[١] في حياته ، هذا كتاب الله حكماً عدلاً ، وناطقاً فصلاً يقول : ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾[٢] ويقول : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾[٣] وبيّن عليه السلام فيما وزّع من الأقساط ، وشرع من الفرائض والميراث ، وأباح من حظّ الذكران والإناث ، ما أزاح به علّة المبطلين ، وأزال التظنّي والشّبهات في الغابرين ، كلّا بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون» .

فقال أبوبكر : صدق الله ورسوله ، وصدقت ابنته ، أنتِ معدن الحكمة ، وموطن الهدى والرحمة ، وركن الدين ، وعين الحجّة ، لا أبعد صوابك ، ولا أنكر خطابك ، هؤلاء المسلمون بيني وبينك ، قلّدوني ما تقلّدت ، وباتّفاق منهم أخذتُ ما أخذتُ غير مكابر ولا مستبدّ ، ولا مستأثر ، وهم بذلك شهود .

فالتفتت فاطمة عليها السلام إلى النّاس وقالت : «معاشر المسلمين ، المسرعة إلى قيل الباطل[٤] ، المغضية على الفعل القبيح الخاسر ، أفلا تتدبّرون «القرآن» أم على قلوب أقفالها ؟ كلّا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم ، فأخذ بسمعكم وأبصاركم ، ولبئس ما تأوّلتم ، وساء ما به أشرتم ، وشرّ ما منه اغتصبتم ، لتجدنّ والله محمله ثقيلاً ، وغبّه وبيلاً ، إذا كشف لكم الغطاء ، وبان ما ورائه الضرّاء ، وبدا لكم من ربّكم ما لم تكونوا تحتسبون ، وخسر هنالك المبطلون» .

ثمّ عطفت على قبر النّبيّ صلى الله عليه وآله وقالت :

«قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختلّ قومك فاشهدهم ولا تغب

وكلّ أهل له قربى ومنزلة ... عند الإله على الأدنين مقترب

أبدت رجال لنا نجوى صدورهم[٥] ... لمّا مضيت وحالت دونك التربق

تَهَجّمَتْنا رجال واستخفّ بنا ... لمّا فقدت وكلّ الأرض مغتصب

وكنت بدراً ونوراً يستضاء به ... عليك ينزل من ذي العزّة الكتب

---

(١) الغوائل : المهالك .

(٢) مريم ٦ .

(٣) النمل ١٦ .

(٤) في بعض النسخ «قبول الباطل» .

(٥) النجوى : السرّ .

almawaddah.be